تحولات - معرض مارك غيراغوسيان.. بعيداً عن الآباء

السفير - يتحدّر مارك غيراغوسيان من عائلة تجمعها بالفن صلة وثيقة. يقف على رأس هذه العائلة الفنان الراحل بول غيراغوسيان، الذي ترك بصمات واضحة على الفن التشكيلي اللبناني، ومن ثم ترك لأبنائه وأحفاده إرثاً عملوا على إغنائه بأفكار ورؤى جديدة، من دون أن يحاول أفراد العائلة، على ما نعتقد، تقليد الأب أو الجد الروحي والفعلي، وهو ما نلحظه في أعمال الحفيد مارك غيراغوسيان، المعروضة لدى غاليري «مارك هاشم».

يعيش مارك غيراغوسيان ويعمل في ألمانيا، حيث تسنى له الإطلاع على أعمال فنانين كثر، في البلد الذي اعتُبر، أكثر من سواه، مهداً للتعبيرية كعبارة وتيار اكتسبا دلالة محددة مع الحركة الفنية المعاصرة، في ارتباطهما برؤية تعكس مفهوماً جديداً وإدراكاً مختلفاً للعالم المعاصر. تبلورت الحركة وتحددت أطرها العامة في بدايات القرن الماضي، وحاول ممثلوها تخطّي القيود الأكاديمية والتمرّد عليها، مطالبين باستقلالية العمل الفني، وما يتطلبه من حرية في اختيار الأشكال الملائمة ووسائل التعبير.

ما ورد ذكره حول الاتجاه التعبيري ومنطلقاته ينطبق، بشكل أو بآخر، على أعمال مارك غيراغوسيان. وإذا كانت هذه الأعمال تعتمد نهجاً بعيداً عن الأسلوب الأكاديمي التقليدي، فهي لا تهمل نهائياً ارتباطها بالواقع الموضوعي، كما لا يتم العمل عليها خارج نطاق الحقيقة الحية، أو بعيداً منها، كما أنها ذات ارتباط وثيق بواقع اجتماعي. انطلاقاً من هذا المبدأ، وانسجاماً معه، يعمل مارك غيراغوسيان على إيجاد صلة بالآخرين، ويحاول أن ينقل إليهم مشاعره وأحاسيسه ورؤيته الخاصة للعالم . هذه العلاقة بـ «الآخرين» لم تكن دائماً على المستوى نفسه حين يتعلّق الأمر بمنتجات الفن المعاصر، التي يجد بعضها طريقاً قريباً نسبياً إلى المتلقّي نفسه، في حين تتعقّد العلاقة بين العمل الفني والمشاهد في مواقع أخرى، ويعود السبب، في شكل رئيسي، إلى طبيعة هذا المتلقّي ومستواه الثقافي - الفني. بيد أن مارك غيراغوسيان، كسواه من الفنانين المعاصرين على اختلاف مشاربهم، يعتمد التعبير أساساً لموقف ذاتي متشدد حيال الواقع، بصرف النظر عن كيفية التعاطي المفترض مع العمل، ولو أن هذا الموقف لا يستند حكماً إلى موقع «سياسي»، بل ينطلق من طريقة التعبير نفسها، وإلى الخيار التشكيلي، ويستند إليهما.

كائنات متنوعة

الكائنات التي نلحظها في أعمال الفنان قد لا تكون كلها ذات طبيعة إنسانية، إذ هناك ملائكة وعمالقة وطيور، وهي، إضافة إلى الكائنات البشرية، محوّرة في طريقة رسمها وفي النهج التشريحي الذي لم يتم الأخذ به، علماً أن الرسم، كمهمة تمهيدية، لا يبدو أنه استبق المعالجة اللونية، كما هي الحال في الأساليب الكلاسيكية. من هنا، لا يمكن رصد ملامح الشخصيات في شكل دقيق، وهي مهمة غير مطروحة أساساً، بل يصبح العنصر البشري جزءاً من العمل ككل، وخصوصاً لكون المعالجة اللونية المذكورة تمت على أساس تجنب الفصل الحاد بين المتن والخلفية، أي بين الموضوع وما يحيط به ويؤطّره، إلاّ في بعض الأحيان التي يكتسب فيها الموضوع صفة لونية حيادية، أو تحوطه خطوط سميكة. جرى ذلك كله ضمن حركة غامرة يمكن ملاحظتها من دون جهد في تمثيل الشخصيات وفي عناصر اللوحة الأخرى، وعبر الانتقال الحاد من الحار إلى البارد أو العكس، ولا يصبّ ذلك، كما نلاحظ، إلاّ في خدمة العمل وأهدافه التشكيلية.

([]) يستمر المعرض حتى 29 آذار في غاليري «مارك هاشم» ـ ميناء الحصن